# سُقُوطُ الهُوَاةِ
# و
# نَجَاةُ الأَبْرَارِ

محمود شاكر






سقوط الهواة
و
نجاة الأبرار

محمود شاكر


دار الوراق
دار النيرين
للطباعة والنشر والتوزيع

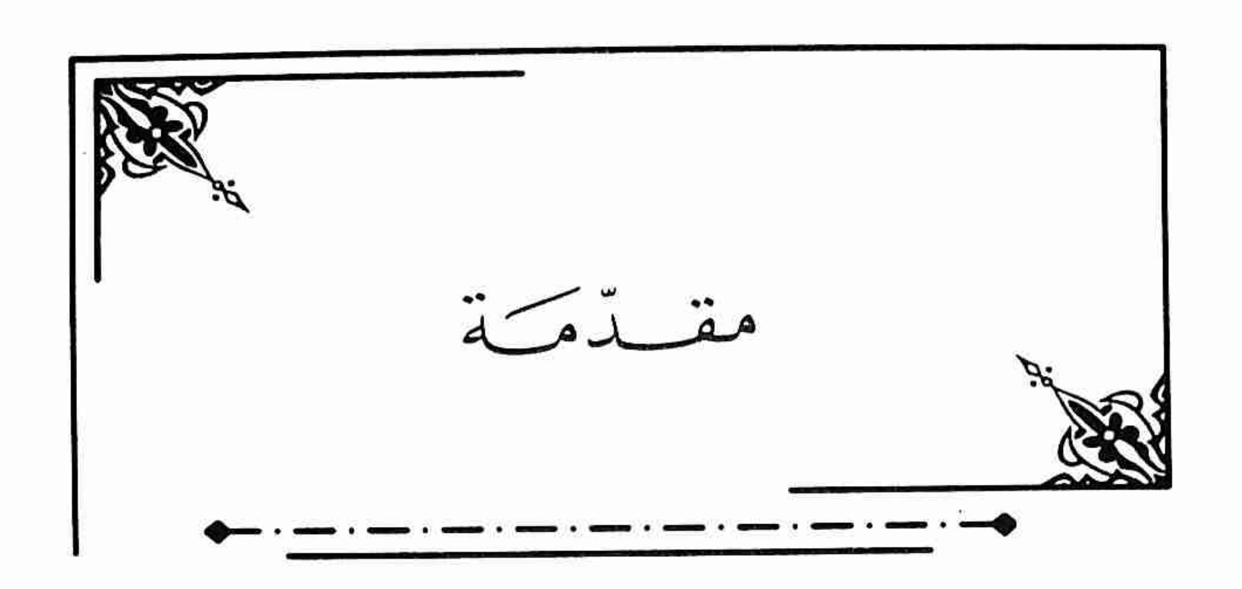




الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م




بيروت : تلفاكس 664499 ( 9611 + ) ـ ص . ب : 6380 / 14
الرياض : هاتف 4162527 ( 9661 + ) ـ ص . ب : 250641 الرمز 11391
دمشق : هاتف 2230914 ( 96311 + ) ـ ص . ب : 7603
E.mail : warrak@zajil.net
www.daralwarrak.com



# مقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه إلى يوم الدين. **أما بعد:**

فإن الإنسان في هذه الحياة يسير على دربٍ من الدروب فيرى موكباً كبيراً فيلفت نظر بعضهم إذ يعدّون الضخامة دلالةً على المكانة، وحسن التنظيم إشارةً إلى السيادة، وجودة الوسائل علامةً على الرفعة، وتجول في النفس فكرة المكانة، والسيادة، والرفعة فتهفو نفسه نحو أصحابها، ويتمنّى الاقتراب منهم عسى أن ينال شيئاً، أو يُحقّق صفةً، أو يسمو قليلاً.

يأخذ بإظهار الطاعة، ويُبدي الخدمة، ويبدأ بالتزلّف؛ إن رأى باطلاً أعلن أنه هذا هو الحق؛ وإن ظهر شرّ أبدى أنه هذا أمر طبيعي، وهو الوسيلة لمعرفة

الخير، وإن بدا فساد قال: إنَّ هذا لا يخفى على صاحب و. . . .

وهذا ما يدفعه إلى الأمام ويُقرّبه من صاحب المكان فتُعرف مكانته، وتُدفع له الأعطيات فيزداد ماله، ويختلط فيُحقّق شهوته. وبذا يكون قد وصل إلى الأمل، ونال الغرض، وسار إلى الهدف و. . . .

ولكن في الوقت نفسه سار في طريق السوء فأيّد الكذب، ودعم الباطل، وساهم في الفساد، وكان بطانة سوءٍ إذ ابتعد عن الحقّ، وترك الصواب، وجانب طريق الخير، وجعل السوء يتفشّى، وترتفع مكانة أهله، وبذا تأخذ الأمة تتراجع، وراية الحق تتهاوى.

اللّهم ثبّت ولاة أمرنا على الحق وجنّبهم بطانة السوء إنك أنت العزيز الحكيم، كما نرجو من الله القدير أن يثبّتنا على الحقّ، ويُجنبّنا قرناء السوء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

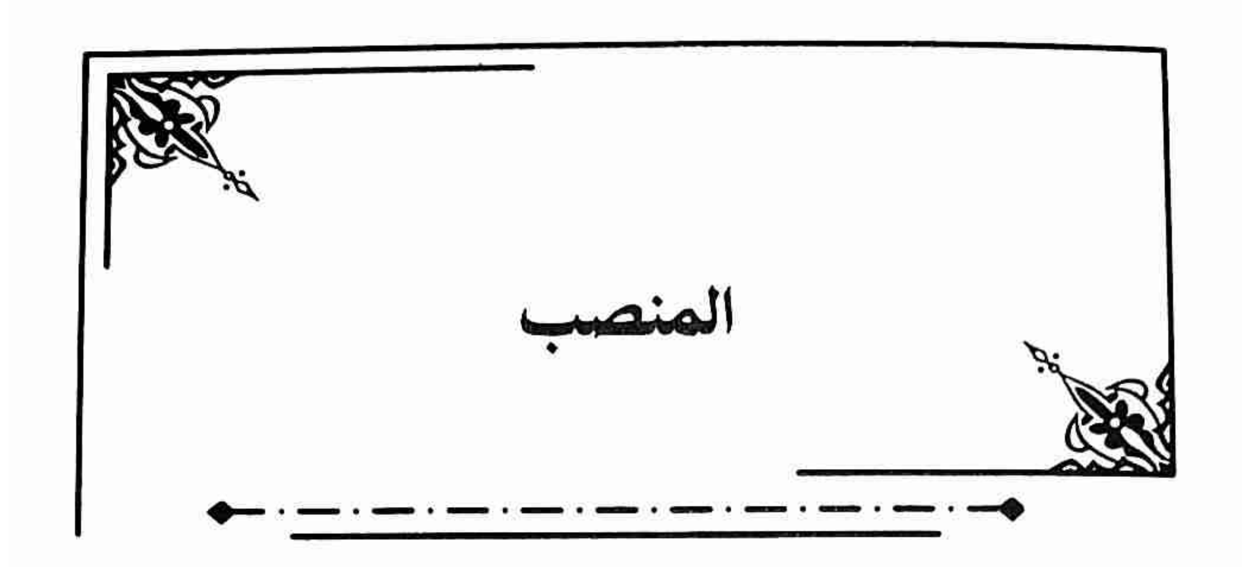
انطلقت جماعة من الناس لتؤدّي مهمّة في الحياة، ومعها أهلها والأبناء، ومعارفها والأصحاب، فآل بها المسير إلى دربٍ وسط البراري غير أنه ممهّد بانتظام، ومعدّ للمارّة الكرام، مستقيم باهتمام، على جانبَيه مسيلات المياه، ونباتات الأعشاب النضرة، وبعض الأشجار الخضراء ذات الظلال الوارفة، والثمار اليانعة، وتُغطي أبنيةً صغيرةً تجتمع فيها مياه عذبة لا طعم فيها ولا لون، وتُجلّلها الظلال فتحول بينها وبين الحَرّ، وهذا ما يُعطي المسافر الراحة، ويُشعره بالسعادة، ويُقدّم له الاطمئنان.

يسير الركب في هذا الدرب دون عناءٍ فلا يشعر بتعبٍ، ولا يحسّ باغترابٍ، ولا يرى نفسه بحاجةٍ إلى غرضٍ، بل كل أمرٍ مُتوفّر، فالأحباب على مقربةٍ، والأقرباء في واحةٍ، والأهل في خيمةٍ من الأشجار تسترها الأطراف، وتقسمها الأغصان، ويُعطيها البهجة

لمعان المياه، وحفيف الأشجار، وعليل النسمات، والفرحة عذوبة الأصوات، والمحبة طيب الكلام، والسعادة حسن الاحترام.

تحرّكت الجماعة على هذا الدرب، وفيه كل ما ترغب، بل كل ما يحلم به من يريد الاستقامة، ويحبّ العفّة، ويأمل بالنهاية، ويسعى لها، ويدعو للوصول إليها، لكن النفوس تتفاوت، والرغبات تختلف، والآمال تتباين، كما أنَّ أثر الشيطان وسلطانه ليس واحداً على قلوب الخلق، فهناك طائع متبع في الغواية لا ينتبه ولا يهتدي، وهناك مخالف مبتعد ينفر من الشيطان ويشتمه، بل ويفرّ من أتباعه ويُحاربهم.

كان درب المسير في بلاد الشركس في منطقة القفقاس.



# المنصب

تابع الركب سيره وهم في أمنٍ وأمانٍ، وراحةٍ وطمأنينة، وسلامةٍ وإحسانٍ، وكل ما يطلبونه مُتوفّر أمامهم، وكل ما يرغبونه موجود، وكل ما يُحبّونه يحصلون عليه، وكلهم متساوون يُقدّمون العالِم النبيه، ويحترمون الحكيم الرشيد، فسادتهم منهم، وهم لهم مطيعون، وهم العامّة يطلبون ما يرغبون، ويُؤدّى إليهم بالعدل، ويُعطون بالحقّ، ويُنظر إليهم بالعطف، ويُعاملون بالحنان.

ضاقت الحياة ببعضهم إذ آلمهم المسير، والحياة على وتيرةٍ واحدةٍ، والعمل على النهج نفسه، وأخذوا يتلقّفون الأخبار عن الجوار، وما يجري من حوارٍ وما يُشاع من أسرارٍ فتاقت نفوسهم إلى امتلاك مفاتيح ذلك فتحرّك عندهم حبّ السيادة، والرغبة بالمكانة، وطلب الرفعة، وأخذوا يتكلّمون عن عظماء التاريخ، وسادة الأقوام، وقادة الجيوش،

وفرسان المعارك، ورجال الحوادث و. . . .

انفصلت هذه الفئة عن الركب، واتجهت شمالاً في منحى إلى الشرق قليلاً، وبعد مسيرة أيام بدت لها مُخيّمات كثيرة، تُقيم فيها أعداد كبيرة من قبائل شتّى، وشعوبٍ عِدّةٍ فأسرعت ودخلت تلك المخيّمات بعد إذن سادتها، وموافقة قادتها.

أخذ القادة القادمون في خدمة السادة المقيمين، وأظهروا حسن الطاعة، والالتزام بالتعليمات حتى قدّموا ما يملكون من مالٍ، وسمحوا لأصحاب المخيمات بالتصرّف بما يشاؤون حتى بالأملاك والنساء، وبكل ما في أيديهم، وتحت سلطانهم فبرز الأثرياءِ، ورجال النساء الجميلات، وآباء الفتيات الفاتنات، وغدا التقرّب منهم مفخرةً، واللقاء بهم غنيمةً، وأصبح النزلاء على مستوى كبار أصحاب المنازل بل يفوقونهم أحياناً حسب كثرة أموالهم، وجمال نسائهم، وفتنة فتياتهم، وخُبث طويتهم، ومعرفة المكر، وممارسة الدهاء، وإبداء طيب الانتساب، وإظهار الرفعة في الماضي.

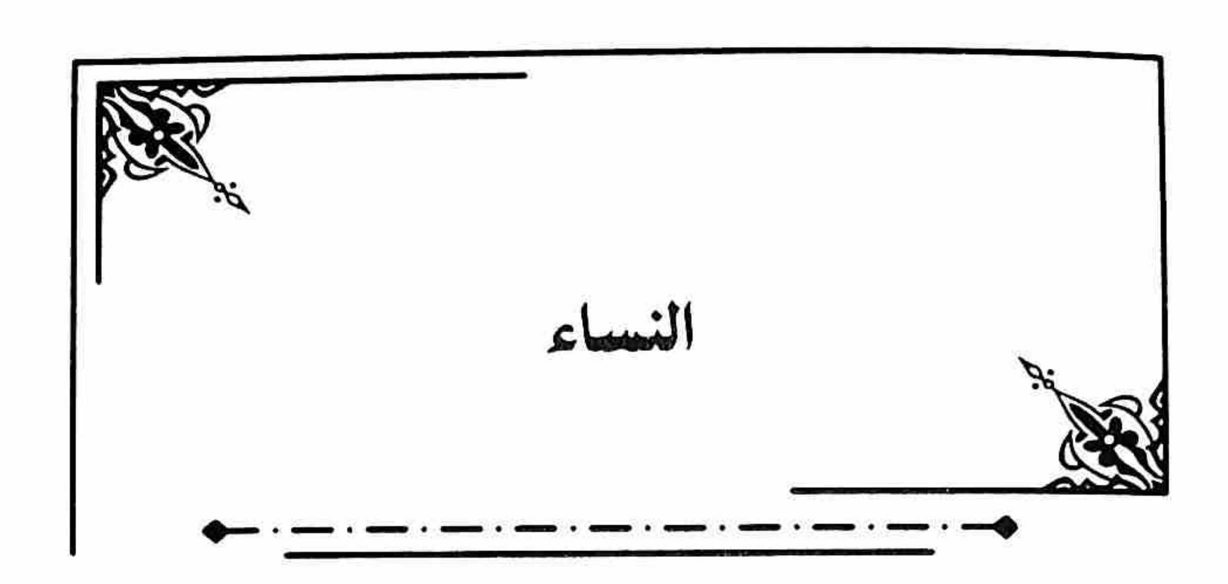
عرف النزلاء أسرار المخيمات، وأخبار النزاعات، وأنباء الاتجاهات، وتوجُّه قلوب المحبين، وصاحبات التعلّق بها، فاستطاعوا بذلك التحرُّك نحو ما يرغبون إذا

صار يتقرّب إليهم أصحاب المصالح كي يُخفوا عنهم ما عرفوا، وأهل الشهوات حتى يستروا عنهم ما اطلعوا عليه، ورجال المال ليكتموا ما وصلوا إليه من أساليبهم ومخططاتهم، وهكذا صار أهل المخيمات يتقرّبون من ضيوفهم النزلاء عندهم فيُقدّمون لهم المال، ويشاركونهم في الأعمال، ويُمنّونهم بالمنصب، ويغضّون الطرف عما يرتكبونه من مُنكراتٍ كالصلة بالنساء، والفساد، ودعم الباطل.

وبذا ساد النزلاء بعد ضعفٍ، وجمعوا المال إثر فقرٍ، ووصلوا إلى تحقيق الشهوات بعد أماني ضعاف النفوس، وصاروا أصحاب نفوذٍ بعد ضعفٍ وتبعيةٍ، وفي الوقت نفسه أضاعوا الكرامة بخضوعهم في البداية، وأهدروا الشرف بتعدّياتهم على محارم الآخرين إذ مالت نساؤهم لغيرهم، وعملت لإرواء شهواتها، كما عملوا، وكرهنهم لميلهم لغيرهنّ، وأبغضنهم لتصرّفاتهم، وسوء أخلاقهم، والسير وراء أهوائهم. كما أنَّ هؤلاء السادة الجدد قد أخذوا في تبذير المال، وإنفاقه في غير جهاته الشرعية.

وهكذا ارتفع أصحاب الأطماع، وأهل الشهوات، ورجال النفوس الضعيفة، وقلَّ دُعاة الخير، وضعف أهل الحق، وتسلّق المتسلقون على الأعمدة سعداء بما

حقّقوا، مسرورين بما نالوا لا يبالون بما وقع، ولا يهتمون بما يجري على مختلف الساحات.



# النساء

تابع الركب الرئيسي سيره، وقد نقص عدد أفراده، وتحسّنت أوضاعهم المادية إذ مرّوا على مناطق جاءها الغيث فأحيا أرضها، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فرعت حيواناتهم فأعطت اللبن الوفير، والصوف الجميل، وأنجبت فزاد عددها، وذاك ثروة لأصحابها فزاد الفرح وعمّ الحبور، وظهرت الرغبة لإرواء الشهوة، وتحقيق اللّذة بعد حدوث الطفرة وتأمين المتطلبات.

اتجهت الأنظار يمنةً ويسرةً وإلى الأمام البعيد والخلف القريب عسى أن تعرف مصدراً، أو تعلم مركزاً فسمع هذا الفريق عن جماعاتٍ للبرّ خارجين، وللنزهة طالبين، ومع نسائهم لاهين. والنساء بينهم يُظهرن التباهي، ويُبدين التسامي، ويفتخرن بالجمال، والقدّ والقوام، واختيار الثياب، وحُسن الزينة والأطياب، وإتقان الحركة والإغراء، وعذوبة الكلام، وفنّ العِشرة،

وجذب الأحباب. ويفخر هذا الرجل منهم بما تُجيد زوجته، وهذا بما تُتقن امرأته، وهذا بما تُبدع به حليلته، وهذا بما تتفنّن به قرينته و.... ذاك يتكلّم مع تعالٍ، وذاك يتعالى مع ابتسامة فخرٍ، وذاك يتباهى مع ضحكٍ يُسمِع البعيدين، وكل زوجةٍ تسمع كلام زوجها عندما يتحدّث عنها فتشرئب بعنقها، وتُداعب أثداءها، وتُظهر التباهي والفخر، وتُبدي القوام والجمال، وتدعو له بسلامة اللسان، وحسن الكلام، وطيب العشرة، والهناء مع الحليلة، والسعادة مع القرينة، وطيب الاستمتاع لكل زوجٍ بزوجته.

وصلت هذه الأقوال إلى أسماع أصحاب الشهوات من أفراد أهل الركب فتاقت نفوسهم للتوجّه إلى جهات إقامة ذلك الفريق عسى أن يُمتّعوا أسماعهم ببعض ما سمعوا، وأبصارهم بما يُشاهدوا، ويسعدوا باللقاءات، وإن تمكّنوا من إرواء الشهوات فذاك ربح وفير، ونصر كبير.

أخذ أصحاب الرأي يتحدّثون فيما بينهم، ويسعون للاتفاق على الذهاب إلى تلك الجهات، والتخطيط لإرساء قواعد الصلة والمودة مع رجال أهل النزهة فتمّ التفاهم على ذلك وعلى تحديد موعد المسير، وبعد ذلك انطلقوا مسرعين فلما بدا لهم

موضع أهل النزهة، وكأن هناك سابق معرفةٍ فأقبل إليهم الرجال فاستقبلوهم بالأعناق ورحّب المتنزّهون بالقادمين ودعوهم إلى الجلوس فلبّوا وأقاموا، وأخذ التعارف مجراه، وبدأت الضيافة، وبعد مدةٍ أخذت الحركة والانتقال لقضاء بعض الحاجات، وأخذ بعض القادمين يظهر صوت غناءٍ، وآخر حركاتٍ رياضيةٍ، وثالث حكايات تمثيلٍ و. . . .

كان القادمون أكثر شباباً من رجال أهل النزهة، وأكثر رشاقةً، وفتوةً، كما أبدوا مراهقةً، وأظهروا قلوباً مفتوحةً للحُبّ مُغرمةً للشوق قابلةً للغرام فمالت لها أمثالها من نساء الطرف الثاني، وتاقت إليه اللواتي لم ترتوِ من رجالها.

أما رجال المتنزّهين فقد شُغلوا بالاستقبال وتصرّف القادمين، وحديثهم وما فيه من مزاحٍ، وما يتخلّله من طرائف دون أن ينتبهوا إلى المقاصد، ومن غير أن يعرفوا الأهداف، لذا لم يُبالوا بأيّ تصرّفٍ، ولم يُفكّروا بأيّ كلامٍ.

وأما نساء المتنزّهين فقد عرفن القصد، وشعرن بهدف كل تصرّفٍ، فهُنّ أدرى برجالهن، وأكثر خبرةً بتصرّفهم فدبّت الغيرة، وظهر التأثّر، ولكن ما العمل؟ ولكن رجال الطرف الثاني لم يبدُ عندهم ميل، ولم

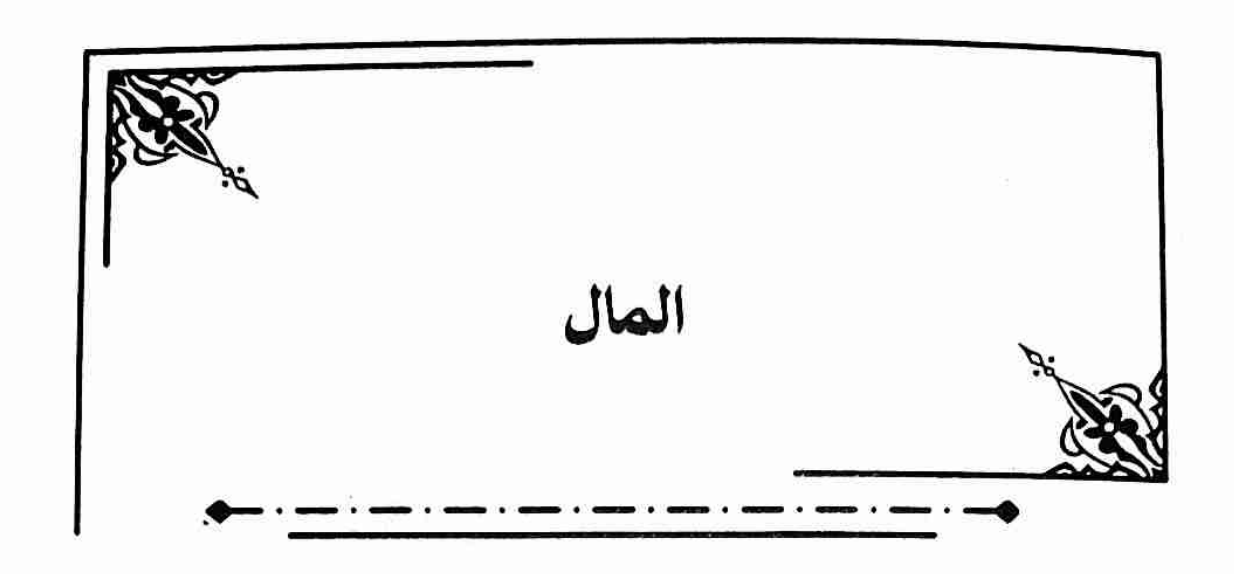
تظهر فيهم الحيوية إذ لم يُفكّروا بهذا الأمر لانصرافهم إلى نواحٍ ثانيةٍ، كما أن للسنّ دور، وللميل وقع، ولكن أحببن أن يكدن رجالهن فعسى أن تقع الغيرة عندهم فيرجعوا إلى الصواب، ويُفكّروا بالأمر، فأخذن ببعض التصرّفات من كلماتٍ، وضحكاتٍ فيها غنج، وتصرّفات فيها لفت نظرٍ، ولكن ذلك لم يفدهنَّ شيئاً إذ رجالهنّ في شُغلٍ عن هذا، وكذا نساء المتنزّهين، فكل في نظيره مفتون، وأما رجال المتنزّهين فأكثرهم عن هذا بعيد، وفي شُغله سعيد، والقليل منهم قد فُتن، وبالصبايا قد بُهر، ولذكريات الماضي قد سُحب و. . . .

وانصرف كلٌّ إلى ما يُفكّر فيه، وما تُحدّثه نفسه بعمله، فكانت بعض الخلوات، وتقع بعض التصرّفات و. . . . وربما كان بعض ما حرّم الله: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

والقوم إلى أهوائهم منصرفون بين دفعٍ وجذبٍ، وضمٍّ وغنجٍ، وأصوات تهديدٍ، ونداءاتٍ بالحرية، ومطالباتٍ بالشرف و. . . . وإذ بالشمس يحجبها الغيم، ويكفهر الجوّ، وتظهر أصوات الرعد، وتهبّ رياح عاصفة تعصف بالخيام، وتقصف أغصان الشجر، وتقتلع

(١) الشعراء: ٢٢٧.

بعض الأشجار من جذورها، وتُلقي بالأشخاص صرعى على الرمال طرحى، وفي البحيرات غرقى، وترتجف الأطراف عند سكرات الموت، ثم تنهمر الأمطار كأفواه القُرب، وتجري على الأرض كالسيول، وتملأ الحفر حتى تكون كالبحيرات، وتجرّ الناس إلى تلك الحفر فيغرقون فيها، فقضى أكثر المتنزّهين والقادمين إليهم نحبهم، ويرتفع النحيب على ما فعلوا، والصراخ بما أقدموا عليه من سوء.




تابع الركب الأساسي سيره وقد قلّ عدد أفراده على حين زاد عدد قطعانه فزاد على أبنائه الخير، كما زاد ترابطهم بعضهم مع بعضٍ لقلّة عددهم، وصلة بعضهم مع بعضٍ بالقرابة وصلة الرحم، فحسُنت الأخلاق، وتوطّدت العلاقات، وزال ما كان يحدث من شحناء، وزال التفكير بالمشروعات إذ زاد الخير حيث اقتربوا من الأراضي الخضراء ذات البساتين والمياه، والحبوب والخضار، والفواكه والثمار لذلك تحرّك في نفوس بعضهم حبّ الدنيا وزينتها، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ

(١) آل عمران: ١٤.

﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[2].

تحرّكت الأطماع عند أصحابها، والشهوات عند طلابها، ولعبت زينة الدنيا في النفوس فازيّنت لأربابها ممن كثُر مالهم، وزاد قطيعهم، وتعدّد أولادهم، فقالوا: لو ذهبنا إلى هذه البساتين، وعرفنا أصحابها فاشتريناها منهم فننعم بالفواكه والثمار فلطالما اشتهت نفوسنا ذلك، وتاقت إلى هذه الأنواع، ونجد الراحة تحت الظلال فلطالما لدغتنا أشعة الشمس، واكتوينا بالحرّ، وكرهنا الألبسة الخفيفة والشّفافة لما فيها من عيوبٍ وعدم نظافةٍ، ثم تدرّ علينا المنتجات من حبوبٍ وزراعاتٍ وفواكه وخيراتٍ المال الوفير والخير الكثير، وكذلك نقسم ما نشتري بين أبنائنا فيطيرون فرحاً، ويشعرون بالسعادة، ويبدؤون بالنشاط، وربما يزيدهم التنافس نشاطاً، ويدرّ عليهم النشاط أرباحاً، ويُمكّنهم المال رفعةً، والأبناء مكانةً وأخيراً يُمكنهم السيادة - إن

(١) الكهف: ٤٦.

(٢) الحديد: ٢٠.

أحسنوا التصرّف - والسموّ - إن عرفو اختيار البطانة - وتوسّع السيادة أجادوا الصلة مع الجوار -.

تداول أصحاب الأطماع وعُشّاق زينة الدنيا بعضهم مع بعضٍ، وقرّروا التوجّه إلى منطقة البساتين، واتفقوا على يومٍ مُعيّن يتحرّكون فيه.

جاء اليوم الذي حُدّد فيه السير فانطلق أصحاب الأطماع وعُشّاق زينة الدنيا مع أهليهم مواشيهم، وأخذوا معهم ما يملكون من مالٍ بل المتاع كافةً، وكلّ ما يحتاجون إليه، ولما وصلوا إلى بداية أراضي البساتين وقفوا وحلّوا الرِّحال، ونصبوا الخيام، ونزلوا في ذلك المكان حتى لا يظنّ أهل البساتين أنَّ القادمين غزاة.

جلس القادمون من أصحاب الأطماع وعُشّاق زينة الدنيا أمام خيامهم، وذبحوا الذبائح من مواشيهم، ونادوا لأصحاب البساتين فجاؤوا إليهم، ودعوهم للطعام في سبيل التعارف، وحُسن الصلة، وصلة الجوار، وتناول الجميع الطعام، وأثناء ذلك كان الحديث يدور عن وفرة المال، وعزيمة الرجال، وشدّة البأس، ومن الطرف الآخر كان الحديث عن البساتين وفائدتها حيث يجد الإنسان فيها الراحة، ويشعر بالسعادة في الحياة بين الأشجار، وتحت الظلال، وفي مرأى أنواع الفاكهة، وأصناف الثمار، ثم في حياة الغنى بما تدرّه الحبوب

من أرباحٍ، وما تُقدّمه الفواكه من أموالٍ، وخاصةً أنَّ بساتينها قَليلة في محيطها نادرة في منطقتها فالناس بأشدّ الحاجة لمنتجاتها وللعيش في ربوعها.

ونتيجة ما دار من كلامٍ وأحاديث فقد تاقت نفوس القادمين كثيراً لامتلاك البسَاتين، وزادت رغبتهم في شرائها، وطمع أصحابها في أموال القادمين، وعملوا لزيادة إغرائهم، وفي الوقت نفسه طمعوا في نساء القادمين وقد جئن على طبيعتهن دون زينةٍ ولا تجمّلٍ وهذا يُغري أصحاب النفوس العالية والأخلاق الكريمة، ومن هم يعيشون الحياة العادية ملتزمين بما منّ الله عليهم، وأكرمهم بما أعطاهم من حرائر النساء. ورأت نساء القادمين لهو رجالهنّ في محادثة أصحاب البساتين ومجاملتهم لشراء الأملاك، وانشغالهم عنهنّ فصرن يُظهرن تمايلاً أمام أصحاب البساتين وتجمّلاً ليُلفتن انتباههم، وقد أفحلن في ذلك فصاروا فعلاً يتّجهون نحوهنّ كلّما انصرف رجالهن نحو البساتين، وشُغلوا بالكلام عنها، فيُبدون إعجاباً بهنّ، ورغبةً فيهنّ، وبالكلام الموجّه إليهنّ فظهر شيء من الميل من كل جانب إلى الجانب الآخر.

قرّر الرجال القادمون شراء بعض البساتين في سبيل الاستثمار والحصول على الأرباح الوفيرة لتعلو

مكانتهم - حسب تقديرهم - كما أنَّ أصحاب البساتين قد قرّروا بيع بعض بساتينهم والإبقاء على بعضها ليبقوا على مقربةٍ من ضيوفهم القادمين لما رأوا فيهم من كرمٍ وأخلاقٍ وصفاتٍ حميدةٍ وهذا ما يُرغّبهم بجوارهم لكسب شيءٍ من هذه الصفات ولكن الرغبة الحقيقة كانت القرب من النساء، فشُغل هؤلاء بالنساء الغريبات عنهم على حين تركوا أملاكهم وأموالهم ونساءهم بل وأهليهم جميعاً، فأخذت نساؤهم يبحثن عن حلٍّ، وعاش بقية الأهل في كآبةٍ وحيرةٍ لا يدرون ما الحلّ لعودة الحياة السعيدة إليهم.

أما الطرف الثاني وهم أصحاب الأطماع وعُشاق زينة الدنيا فانصرف همّهم إلى العمل في البساتين التي اشتروها واكتساب الخبرة بالزراعة، والإنتاج، وحسن الاستثمار، وأسلوب البيع، واختيار العمّال الذين يُتقنون المهنة، ويُجيدون الخبرة، ويصدقون بالعمل فلم يجدوا سوى وسيلةٍ واحدةٍ هي البقاء على صلةٍ حسنةٍ مع أصحاب البساتين السابقين الذين مارسوا العمل فاكتسبوا الخبرة، وعرفوا الأسلوب، وعمّال المهنة، والأسواق و.... وهم بالتالي يرغبون بإعطاء المعلومات الضرورية وإبداء سهولتها للإقبال على الشراء، ورفع الأسعار، والحصول المستمر على بعض المنتجات كصلةٍ

وهدايا، وبقاء الصلة، واستمرار الاتصال العائلي لتحقيق ما تصبو إليه النفوس من رؤية السيدات بل والاختلاط.

وزاد طمع الطرف الأول إذ رأوا أنهم سيجمعون المال الوفير بعد مدةٍ وجيزةٍ، ويكتسبون الخبرة بيسرٍ وسهولةٍ وعندها يتخذون من أصحاب الأملاك الأوائل أجراء عندهم وبأجرٍ بسيطٍ وخدمةٍ كافيةٍ حباً بما اعتادوا عليه، ورغبةً بإظهار الخبرة، وأملاً بالحصول على بعض الفاكهة والثمار، بل وأكل بعضها أثناء العمل كما جرت عادتهم على ذلك سابقاً.

تمّت المبايعة، وتسلّم القادمون كثيراً من البساتين، وكان التعاون بين أصحاب البساتين القدماء واللاحقين، ولم تحدث منازعات بين الطرفين، ثم بدأ القدماء بالتواني قليلاً في أعمالهم، ثم بدا عليهم الإهمال غير أنَّ صلتهم بنساء القادمين لم تتغير بل كانت هذه النساء ترجو رجالهن بالإحسان لأصحاب البساتين القدماء لما بذلوا من جهدٍ بالزراعة والمتابعة والزعاية عندما كانوا أصحاب الأملاك، كما لا يألون الآن جهداً بالمناصحة والمساعدة أحياناً.

وجاءت أعوام خيرٍ إذ زاد الغيث فكثرت المياه فزاد الثمر، وتضاعف الإنتاج فزاد العطاء إلى درجةٍ لم يسبق لها مثيل لا بالكمية ولا بالجودة، وكل عامٍ يتفوّق

على سابقه، وبدا الثراء على أصحاب الأملاك الجُدد، ويرافق الغبطة والسعادة، وفي الوقت نفسه ظهر الحسد والضجر على أصحاب الأملاك القدماء.

ولم تمضِ سوى سنواتٍ قليلةٍ حتى زادت أموال أصحاب البساتين كثيراً فشمخت أنوفهم، واشرأبت أعناقهم، وظنّوا أنهم ازدادوا رفعةً، وعلت مكانتهم على غيرهم، وصاروا ينظرون نظرة ازدراءٍ لأصحاب البساتين السابقين بل وطردوهم من العمل كأُجراء فيها، وهذه النظرة هي نفسها للجوار ومعارفهم أينما كانوا، وبالتالي فإن الآخرين أصبحوا أيضاً ينظرون لأصحاب الأموال هؤلاء نظرة سوءٍ إذ فتنهم المال وغيّر أخلاقهم السابقة، ونظرتهم الحسنة للآخرين، ويمشون مِشية الكبرياء، ويتكبّرون على غيرهم، كما يقومون بظلم من يعمل معهم أو يُعاملهم، فهذا يُقلّلون من أجره، وذاك يُعاقبونه فيمنعونه الأجر أو يضربونه، أو يمنعونه من السكن في أحياء خاصةٍ والإعلان بأنها «أحياء السادة» ما دام بعضهم كان يُقيم فيها.

ازينت الدنيا لأصحاب الأموال الوفيرة، وتجمّلت لأصحاب السيادة، وحلت في أعينهم، وكبُرت في ناظرهم، فأحبوا الاستمرار على ما هم عليه من كبرياءٍ، وظلمٍ، وتعالٍ، بل رغبوا في زيادة الشموخ، وطمعوا

في البغي، وأحبوا زيادة منطقة السلطان واتساع النفوذ فامتدّ نظرهم إلى ديار الجوار.

بعث السادة الكبراء إلى الذين يجاورونهم رُسُلاً يطلبون الانضمام إليهم ليتسع السلطان وتزداد الخيرات فيعيشون جميعاً في بحبوحةٍ من العيش ورغدٍ من الحياة، وأنهم لم يطلبوا منهم ذلك إلاّ لأنهم يحبّون لهم ما يحبّون لأنفسهم، وأنهم سيجدون طيباً في المعاملة، وجُوداً في العطاء، وسخاءً في الكرم، وحُسناً في التصرّف، وليس من رأى كمن سمع.

رفض الجوار الانضمام إلى ديار السادة الكبار، وبعثوا رسلاً يعتذرون بأنهم نشأوا على أسلوبٍ معينٍ، ويصعب عليهم التغيير، كما أنَّ الرعية لا يرغبون الخضوع لآخرين لم يعرفوهم من قبل، كما أنهم يكرهون التجربة إذ سبق أن جرّبوها فقاسوا الأمرّين، وفقدوا الكثير من الأبناء، وأضاعوا الكثير من الأموال لذا فهم يحبّون البقاء على ما هم عليه، والاستمرار بما يعملون، والاكتفاء بما يدخل عليهم من رزقٍ، وما يصل من واردٍ ومنتجاتٍ.

بعث السادة الكبار عيوناً لهم إلى الجوار يكسبون لهم أعواناً بعد أن يُمنّوهم بالمال، والسيادة على منطقتهم، ويدعموهم بالرجال. وقد استطاعت العيون أن

يُحقّقوا ما بُعثوا له، وصار للسادة الكبار أعوان، وتمكّنوا أن يضمّوا إليهم جزءاً من الرعية، والجميع يُؤيّدون السادة الكبار، وعلى استعدادٍ لاستقبالهم، وفتح المنافذ لهم، والانضمام إليهم، وتسليمهم المنطقة بعد تحقيق النصر المضمون.

سار السادة الكبار بما يملكون من قوةٍ نحو منطقة الجوار فأسرع إليهم أعوانهم وانضمّوا إليهم، وبعد يومين تمكّنوا من المنطقة كاملةً، وخضع لهم المشرفون عليها سابقاً، وسلّموهم كل ما بأيديهم، وأعلنوا الطاعة.

تسلّم القادمون الجدد حكم المنطقة، وضمّوها إلى ديارهم، وساعدهم أعوانهم من أبناء المنطقة بعد أن قرّبوهم إليهم، وقدّموهم على غيرهم لأنهم بحاجةٍ إليهم، وبعد مدةٍ ساد الأعوان، وارتفعت مكانتهم، واتّسع نفوذهم لصلتهم بأبناء منطقتهم، ولمعرفتهم بمجريات الأمور فيها، وانتبه إلى هذا السادة الجدد فلعبت الفئران في جيوبهم، والشيطان في أفكارهم فأخذوا يقصّون من جناح أعوانهم حتى أوقفوهم عن الطيران بل عن الحركة، واستبدّوا هم بالسلطان، وتصرّفوا بالأمور، وضغطوا على ما سواهم، وتفرّدوا في ديارهم وما ضُمّ إليها دون منازعٍ بل دون صوتٍ يرتفع، أو يدٍ تتحرّك، أو عملٍ يتمّ.

انصرف السادة إلى إرضاء النفوس، والعلياء، والمباهاة، وإلى تحقيق الملّذات، وإرواء الشهوات، وكل ما تشتهيه النفس وتقرّ به العين إذ تجمّع المال، وزاد الدخل من المنتجات، وكثُر الوارد من المنصب والمكانة، وخضع السكان بالضغط والشدّة، وسلّمت الرعية أيديها وقدّمت الطاعة.

أخذ السادة ببناء القصور الزاهرة المحاطة بالبساتين الورافة، والبيوت العامرة وحولها المتنزهات الواسعة، ويكون التباهي بينهم بجمال القصر وشموخه، واتساع البيت وخُضرة منتزهاته، وفاكهة البساتين والمنتزهات.

ويأتي السادة إلى بيوتهم بالفتيات الخادمات الجميلات فيقمن بأعمال البيت، ويقمن بإغراء أصحاب المنازل لما يرون من مصروفاتٍ وتبذيرٍ، بل ويُشاركن نساء المنازل في رجالهنّ كما يُؤدّي الرجال الدور نفسه لما يرون من عريٍّ، وحركاتٍ، ولما يسمعون من حلو الكلام، ومعسوله، مع دلٍّ ودلالٍ عند الخدمة وتأدية العمل وله غرضه ومغزاه، ويُؤدّي الغرض هدفه، ويصل الأمر إلى وقوع السوء والفساد، وربما يحدث البغاء.

وتتحرّق قلوب زوجْات الرجال غيظاً وحقداً من رجالهن وتصرّفهم، ومما يُقدِمون عليه من إعجابٍ بالخادمات، والإغراء والصلة بهنّ رغم أنهنّ خادمات،

وليس فيهنّ ما يُغري ومن ناحيةٍ أخرى هجران زوجاتهم، وهنّ أمهات أولادهم، وحلائلهم، وقد عاشوا الأعوام معهنّ، وما عرفوا منهنّ إلاً الطاعة والإخلاص والمحبة والتضحية.

كرهت النساء أزواجهنّ، وحقدن عليهم، ولم يعُد هناك ميل إليهم، ولا طاعة لهم، ولا مودة بل جفاء وغِلظة بالإجابة، والمعاملة أحياناً، وفي الوقت نفسه كانت الكراهية للخادمات، والشدّة عليهنّ، والسخرية منهنّ، وقسوة الكلام، ولم يكن ردّ الفعل من الخادمات إلاً بالتصرّف نفسه وربما أشدّ رغم أنهنّ خادمات إذ يعرفن تصرّف الرجال معهنّ، ومداعبتهم لهنّ، والطبيعي أنهنّ يتناولن الأجر من الرجال.

وكذلك حدث تفكّك في المجتمع إذ يتنازع اثنان أو أكثر على خادمةٍ جميلةٍ أكثر فُتوةً ونُضرةً من الأُخريات، وقد تعمل في بيت بعيدٍ فتتجه الأرجل نحوه وتكون المنافسة وربما الإساءة، ويتأثّر مولى الخادمة فيهدّدها ويشتدّ عليها، كما أنه يحاول منع الرجال العشّاق لها من القدوم نحو بيته.

وهكذا أصبح المجتمع مُتفرقاً ضعيفاً، خلاف في الأسرة الواحدة، وضعف في بنائها، وحقد بين أفرادها، وعدم ثقةٍ بين الرجل وامرأته، وتنافس بين الرجال على

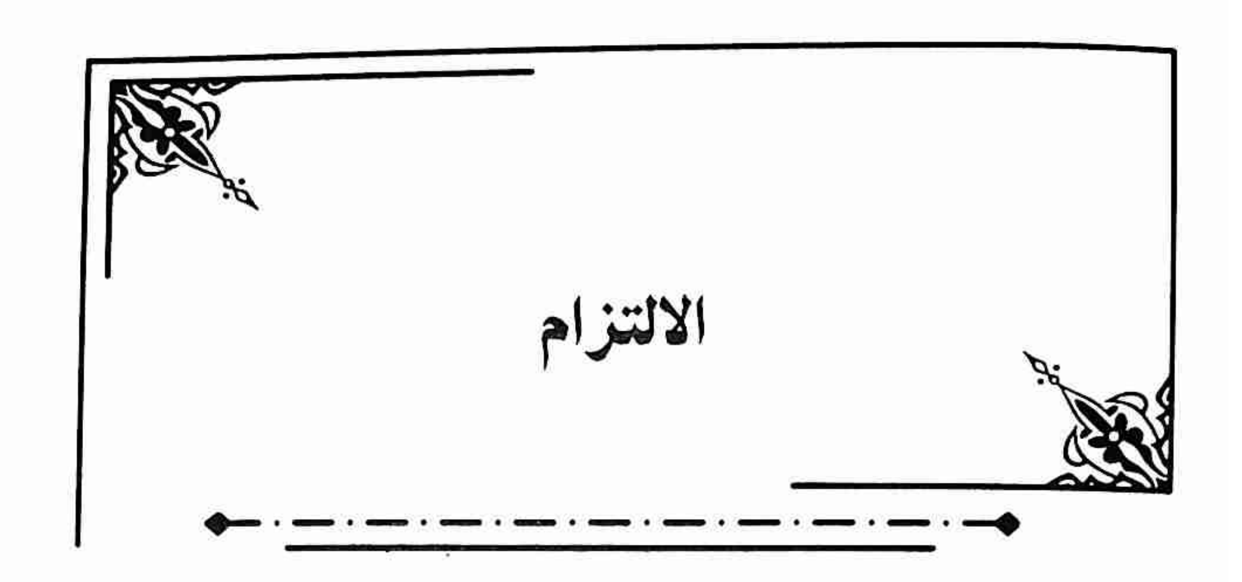
النساء لإرواء الشهوة فكل يشدّ الحبل نحوه لكسب المرأة، وإشباع الغريزة، وكيد الآخر. والغيرة أيضاً بين النساء إذ كل واحدةٍ تريد الكسب، والوقوع في أحضان من تُحبّ، والأخرى تريد مصّ دم خصمها التي تريد نزع زوجها منها، وهذه في غيرةٍ من تلك لجمالها، وأسلوب فتنتها، ومعرفتها بكسب المحبّ، وإغواء الرجل، وظهورها على الساحة.

ومع هذا الذي يجري في المجتمع من فِرقةٍ وضعفٍ فكثير من الرجال همّهم الأول جمع المال وتكديسه، وخزنه في مخازن أو توظيفه في متاجر لكسب كمياتٍ ثانيةٍ تزيده غنىً، وتُحقّق له المنى، وترفعه إلى العُلا، وآخرون كان همّهم شراء وبيع البساتين لتحقيق الأرباح الوفيرة، وهناك من كان همّهم الإتجار بمنتجات الأشجار، ومن كان عمله الأساسي جلب الخادمات لتأمين الأرباح، وإرواء الغرائز، وإبقاء الصلات مع بعض من يشتهي من الخادمات لتحقيق اللّذات في بعض الأوقات.

وهكذا ضعف المجتمع إذ كل فردٍ مُنصرف إلى ما يهوى، مُتجّه إلى ما يُسعده، سائر إلى ما يلّذ به، وتارك المجتمع لا يُبالي به، ولا يُعطيه شيئاً من اهتمامه، على حين أنّ العدوّ واقف بالمرصاد، يرصد

كل توجّهٍ، ويرقب كل خطوةٍ، ويُتابع كل خطٍ.

ومع ضعف المجتمع يتجزّأ فيتجه كل صاحب هوىً وراء هواه، وتتمزّق الأمة ويتغلّب عليها الأعداء، ويُنفّذون مخططاتهم، ويحقّقون مصالحهم. وكل ذلك بسبب اتّباع الأهواء والسير وراء الشهوات، وترك المنهج الربّاني الذي فيه السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة.



# الالتزام

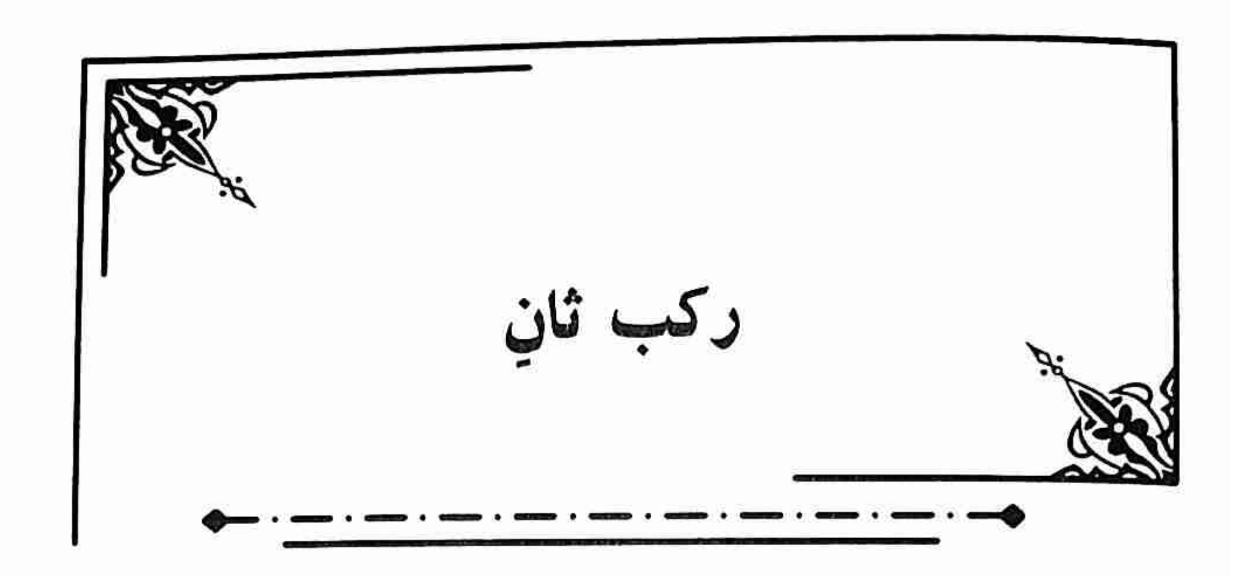
تابع السير من بقي في الركب الأساسي، وقد قلّ العدد إذ ذهب من يرغب الرِّفعة، ومن يُحبّ السُّمعة، ومن يسعى وراء الشَّهوة، ومن يعمل لجمع المال ليُحقّق ما يريد بإنفاق المزيد، وبقي الذي يكتفي بالقليل، ويتواضع لمن معه، ويُحبّ للآخرين كما يُحبّ لنفسه، ويُحسن للجوار، ويُقدّر الرفقة، ويحترم الكبير، ويعطف على الصغير، ويغضّ الطرف فلا ينظر إلى حُرم الآخرين بل يُحافظ عليهنّ كما يُحافظ على نسائه وأهله. كما لا يُؤذي أحداً بلسانه فلا يرفع صوته أمام الآخرين، ويتكلّم بأدبٍ، ويختار أطيب الكلمات، وأحسن الألفاظ حتى ليُسَرّ المستمع بل يتمنّى زيادة الحديث لما فيه من فائدةٍ وأدبٍ، ويتعاون مع الآخرين للعمل والإنتاج سواء أكان العمل فردياً أم جماعياً، خاصاً أم لعامة المجتمع، كما يعمل للمساعدة أُخوّةً أو عضواً في المجتمع، وهكذا كانت صفات غالبية من بقي في الركب يُؤدّون الواجبات

التي نشأوا عليها، ورُبّوا عليها، وورثوها، وتعلّموها، ويعدّونها واجبةً عليهم إذ تفرضها عقيدتهم، ويُسألون عنها في نهايتهم، وكذلك عن حسن أدائها فمن أجاد فقد فاز فوزاً عظيماً، ومن أساء وقصّر خسر خسراناً مبيناً، ولقي عذاباً مهيناً.

وهكذا عاش من بقي حياةً سعيدةً حيث كان مجتمعهم كأنه أسرة واحدة متفاهمة، متعاونة، متناصحة، مُتحابّة، أفرادها كأنهم إخوة، والمال عندهم كأنه للجميع، وإذا ما احتاج المجتمع إلى مشروع تعاون الجميع في عمل الأيدي ودفع المال، الاحترامُ لكبار السنّ في المجتمع كله، والعطف لصغار السنّ جميعاً. الجميع يُؤدّي ما ورث من عقيدةٍ عبادةً وسلوكاً. فالعبادة في دُور العبادة للرجال، وفي البيوت للنساء، الرجال يغضّون البصر، ويُحافظون على شرف وسمعة الآخرين، التزاماً بالعقيدة واحتراماً لها، والنساء يحتجبن، ولا يُبدين زينتهن، ويغضضن من أبصارهن، ويخفضن من أصواتهن حفاظاً على شرفهن وسُمعتهن، وعلى شرف وسمعة أهلهن، والتزاماً بعقيدتهن واحتراماً لها.

هذا الارتباط بين أفراد المجتمع والمحبة بينهم، والالتزام بالعقيدة والحماية لها، والدفاع عنها جعل المجتمع قوةً لا يُمكن اختراقها، ويصعب دحرها إذ

الأفراد يداً واحدةً، والمبدأ واحداً يحمونه من دخول أيّة شائبةٍ فيه أو محاولة أيّ عدوٌ من دسّ فكرةٍ فيه، يحمونه بالأرواح، ويُدافعون عنه بكل وسيلةٍ، ويقفون صفاً واحداً ذائدين عنه.



## ركب ثانٍ

في الوقت الذي كان يتحرّك فيه الركب الأول نحو هدفه كان هناك ركب آخر يسير إلى هدفٍ له، وعنده معلومات عن الركب الأول، منها: القوة والعزيمة، والوحدة والشكيمة، والبُعد عن العادات اللئيمة لذا لم يكن يُفكّر بالصدام معه والمواجهة حيث يعرف أنها الهزيمة، هذا مع وجود الكراهية بين الجانبين إذ هما على عقيدتين مختلفتين وبينهما سابق عداءٍ، وأكثر من لقاءٍ حقّق فيها الطرف الأول النصر والعلياء، ولحق بالطرف الثاني الهزيمة والبلاء.

لما كان الطرف الأول صفّاً واحداً وجمعاً واحداً لم يُفكّر الطرف الثاني بمواجهته أو التحرّش به، ولكن لما اختلف الطرف الأول بالأفكار وتوزّع فسار كل فريقٍ حسب الرأي الذي حمله، فانطلق أولئك الذين يفُكّرون بالكبرياء ويسعون وراء المنصب في جماعةٍ واحدةٍ نحو تجمّعٍ قريبٍ منهم، وبذلوا ما أمكنهم لإخضاعهم لهم

والسيادة عليهم، ولكن وإن حقّقوا بعض ما أرادوا إذ كانت لهم بعض السيادة ولكن أضاعوا كثيراً من مالهم في سبيل الوصول إلى المكانة والرفعة غير أنهم في الوقت نفسه فقدوا بعض ما يحرصون عليه ويُدافعون عنه، وهو الشرف، وكان كل فردٍ منصرفاً إلى الكبرياء والرفعة ولا يُبالي فيما سوى ذلك إذ لا يُفكّر ولا يُهمّه إلاّ ما يُشغل به باله، ويضعه نصب عينيه، وبذا يخطو خطوةً نحو هدفه ولكنه يضيع الكثير من ماله، واهتمامه، وربما من أهله، وما يرفع مكانتهم، ويُعلي شأنهم، ويسمو بشرفهم.

وبعد مدةٍ من متابعة الركب الأول في السير أو قطعه مسافةً قصيرةً بعد خروج الفريق الأول منه انطلق منه فريق ثانٍ وهم الذين كان همّهم النساء، وشغلهم الشاغل تحقيق الشهوة، وإرواء الغريزة حيث وجد جماعةً هناك، رأى فيها ما يُحقّق غرضه، ويروي شهوته، فانطلق إليهم، وصرف همّه، وبذل جهده لتحقيق ما يرغب، فأدرك بعض ما تريد نفسه لكنه أضاع النساء أيضاً إذ سرنَ إلى ما سار عليه رجالهنّ فضاعت العقيدة، وفُقد الشرف، وعمّت الرذيلة، وساد الفساد، كما قلّ المال إذ ضاع الجهد، وقلّ العمل، وضعف الإنتاج، وزال السعي.

وبعد مدةٍ أخرى انطلق من الركب الأول فوج من

الذين يفكّرون بجمع المال ويسعون لتخزينه لرفع مكانتهم، وتحقيق رغباتهم، وتنفيذ أطماعهم من امتلاكٍ، وارتحالٍ، وبلوغ علياء، وتأمين شهواتٍ، ورفع الأبناء والأهل.

وهكذا تجزّأ الركب الأول إلى ثلاث فرقٍ إضافةً إلى ما بقي منه ويُعدّ فرقةً رابعةً.

وبذا ضعف الركب الأول، وهانت قوته لتفرُّقه، وعرف هذا رجال الركب الثاني الذي كان على خلافٍ مع رجال الركب الأول الذين يخافونهم ويرهبونهم لذا قرّروا الهجوم عليه والسيطرة على المناطق التي يعيشون عليها، وفرض النفوذ على كل من يُقيم عليها، وسيطرة السلطان عليهم، والتحكّم بهم.

وصلت الأنباء إلى الركب الأول بما عزم عليه الركب الثاني فهالهم الأمر فتداعى رجال جماعاته، واقترب بعضهم من بعض، وتفاهموا، وشدّوا العزيمة، واستعدّوا، ولم يجدوا من فردٍ منهم خلافاً في الرأي، أو بُعداً عن اللقاء والاستعداد.

انتقلت أخبار ما قام به رجال الركب الأول من لقاءٍ وإعدادٍ إلى رجال الركب الثاني فهالهم الأمر، وغيّروا الرأي، وهدؤوا، وتوقّفوا عن فكرة الهجوم،

وأخلدوا إلى السكون، وبعد حِوار ومناقشات توصّلوا إلى اتخاذ اللعب السياسي وأسلوب الجذب بعد إظهار التفاهم للمصالحة.

جرت مراسلات بين الطرفين، وسارت رسل بين الجانبين، وجرى تفاهم، وعادت المياه إلى مجاريها العادية، وصارت علاقات حسن الجوار.

بقيت أشياء في نفوس بعض كبار رجال الركب الثاني فأخذوا اتّباع أسلوب اللعب السياسي، ومنها أنهم وجدوا رجال الركب الأول ثلاث جماعات: جماعة طلاب منصبٍ، وجماعة طلاب شهوةٍ، وجماعة طلاب مالٍ، وهذه الجماعات الثلاث هم نماذج لطلاب الدنيا وزينتها، فأخذوا اتخاذ الوسائل المناسبة لجذب كل جماعةٍ إليهم بأسلوبٍ يُناسبهم بل هو أملهم الذي يسعون وراءه، ويعملون كل جهدهم في سبيله.

لنُطلق اسم: «السهليون» نسبةً إلى السهول على أفراد الركب الأول.

ونطلق اسم: «الجبليون» نسبةً إلى الجبال على أفراد الركب الثاني.



# اللعب السياسي

**أولاً:** أرسل الجبليون رجالاً من قِبلهم إلى السهليين ليتعرّفوا على طلاب المناصب، ويتعاملون بعد ذلك معهم، ويُمنّونهم بأشياء وأشياء، ويعدونهم أنهم إذا وافقوا على الصلة مع سادة الجبلين والتعاون معهم فإنهم سيمدّونهم بالمال وسيدعمونهم ليتولّوا حكم شعبهم ومنطقتهم، وسيبقى التعاون والدعم قائماً بل سيزداد بين سادة الشعبين، فسال لعاب طلاب المناصب من السهليين على ما عُرض عليهم من الجبليين، وأخذوا يرسلون أفراداً إلى قاعدة الجبليين ويتعرّفون على السادة هناك، وفي الوقت نفسه صاروا يُشيعون في شعبهم كلاماً طيباً عن السهليين بأنه شعب بجوارهم، وصفات الشعبين مُتقاربة، وأهدافهم واحدة، وأنه من المصلحة للطرفين التفاهم فيما بينهم، والتعاون، والسعي وراء الهدف الواحد، وأنَّ ذلك سيفيد المنطقتين إذ سيزداد الإنتاج، وتكثر الموارد، وسيغنى أفراد الشعبين،

وستكون قوتهما كبيرةً ويمكنهما تحقيق النصر على خصومهما بل والسيطرة عليهم، وعندها تُفتح الآمال أمام الفريقين، وترتفع مكانتهما بين بقية الشعوب فيخضعون لهما، وعندها نُحقق الآمال وتكون لنا السيادة على البلدان عامةً.

وبذا أصبح هؤلاء النماذج من السهليين أعواناً للجبليين يدعون للتعاون معهم، ويُقلّدونهم في لبس أزيائهم، وربما في حركاتهم أحياناً، ويتشبّهون بهم، ويُدخلون في كلامهم كثيراً من كلمات الجبليين، ويعدّون ذلك فخراً ومباهاةً. وبذلك أصبح فريق من السهليين أعواناً للجبليين وبالاصطلاح السياسي عملاء لهم.

**ثانياً**: تعرّف الجبليون على بعض طلاب الشهوة من علية القوم السهليين فأخذت نساء جبليات يذهبن إلى بلاد السهليين بعد تدريبٍ تُمارسنه، وهنّ مختارات من ذوات الجمال والفتنة، والإغراء والحِنكة.

تذهب هذه النساء باسم: «مسافرات» أو «مرتحلات للنزهة» أو لدراسة البيئة فيتعرّضن لأولئك الرجال من طلاب الشهوة، يتعرّضن بأسلوبٍ مُلفتٍ للنظر، فيه فتنة وإغراء، وفيه إثارة واختبار فتتحرّك

العاطفة، وتُثار الشهوة، وتظهر الرغبة بالكلام والحديث، وتكون بالمكالمة والحديث إثارة، فيتأثّر الرجال بذلك ويتابعون بلهفةٍ وخضوعٍ إذ هم طلّاب ذلك، وتكون المواعيد والارتباطات، وتكون المحبة والعلاقات، ويكون الغرام والصلات، ويكون الشوق واللقاءات، وتكون الصلة والاتفاقات. ونتيجة ذلك كله يتحدّث الرجال السهليون من طلّاب الشهوة عن طيب الجبليين وحسن معاملتهم، ووعيهم وجودة أخلاقهم، ونشاطهم وزيادة مهارتهم، وأناقتهم وجمال نسائهم.

كما يتكلّم الرجال السهليون بلغة الجبليين مسايرةً لنسائهم، وتقرّباً منهنّ، ومحبةً لهنّ، وزيادةً في إبداء الغَزَل، وإظهاراً لِلْوَلَهِ، وتأكيداً للغرام، وتصبح لغة الجبليين على لسان السهليين في مجتمعاتهم بل وفي بيوتهم، ويشيعون أنها لغة الإخوة الجوار، ونعمت أخوتهم، ونِعم جوارهم، ونعمت لغتهم. فتنتشر بذلك لغة الجبليين في شعب السهليين.

وربما إذا ذهب أحد سادة السهليين إلى بلاد الجبليين زائراً أو بمهمةٍ وُجّهت بعض الفاتنات أو أكثر إليه فتتعرّض له الواحدة إثر الأخرى فإذا ما مال إلى إحداهنّ انصرفت البقية عنه، وبقيت ذات الحظ السعيد قريبةً منه، وتتصرّف حسب التوجيهات التي تحملها

وتنشأ العلاقة الحميمة، وغالباً ما ترحل معه إلى بلده، وتصبح زوجةً له، وليست بحاجةٍ إلى موافقة الأهل أو وليّ أمرٍ لأن سيد الجبليين وهو وليّ أمرها، وقد منحها التصرّف، وأعطاها ولاية الأمر. وهناك تُؤدّي هذه الزوجة دورها إذ تُظهر المحبة التامة، والطاعة الكاملة للزوج فيُمكنها عندئذٍ أن تطلّع على الأسرار، وتتصل ببعض كبار المسؤولين، وتعرف اللقاءات والاتصالات، وتنقل ذلك إلى أهلها وولي أمرها سيّد الجبليين الذي أعطاها التوجيهات الكاملة والصلاحيات التامة.

وعندما تتحدّث زوجة السيّد تتكلّم بلغتها فيضطر من يُكلّمها أن يُجاوبها باللغة نفسها كي تفهم عليه، وهذا ما يُلزمه أن يتعلّم لغتها، وكذا من يتحدّث بالهاتف وهكذا أخذت لغة الجبليين تنتشر، وينطق حتى العامة ببعض الكلمات من هذه اللغة، ويقولون عنها: إنَّ لغة السادة، إذ هي لغة زوجة سيّدهم ومن يُكلّمها، وهل يُكلّمها إلاّ سادة وعلية القوم؟

وكذا أصبحت تأتي نساء جبليات إلى منطقة السهليين تحت عنوان موظفات، وعاملات، وخادمات، و.... وكلّهن بتوجيهٍ من سادات الجبليين وبدفع مكافآتٍ لهنّ، ويعملن على المحافظة على لُغتهن، فيضطر أهل السهل أن يتعرّفوا على لغتهن حتى

يُكلمونهنّ، وبذا انتشرت لغة أهل الجبال في منطقة السهليين، وأصبحت تكتب على لوحات المحلات التجارية وعلى مفترق الشوارع و.... وإذا جرى تساؤل عن ذلك كان الجواب: يوجد في المنطقة غرباء، والحقيقة أنَّ الإجابة غير صحيحةٍ إذ القادم هو الذي يتعلّم، ويتكلّم لغة المنطقة التي يُقيم فيها، فالجواب إذن تهرّب من الحقيقة، ومن إعلان سيطرة صاحب اللغة بسلطانه، وبثّ أعوانه، والعمل على نشر لغته وهو عمل سياسي مخطط له.

**ثالثاً**: عرف الجبليون عن طريق رسلهم وعيونهم طلاّب المال بين السهليين فبعثوا إليهم من يتصل بهم، ويعرض على بعضهم تسجيل بعض بضائع الجبليين باسمهم وبيعها في المناطق السهلية فتمّت الموافقة، ونُقلت البضائع، وأقبل الناس عليها على أنها من إنتاج الاسم الذي تحمله البضائع، وتعدّدت أنواع البضائع، واستفاد الذين تحمل أسماءهم كثيراً.

كما عُرض على الجبليين شراء أراضي للجبليين ولكن باسم رجال سهليين مقابل رهائن مقبوضة، وتمّ ذلك، وزُرعت هذه الأراضي، وأعطت الإنتاج الجيد، وبيع بمنطقة واسم السهليين، وكذلك كانت أنواع التجارة تدخل باسم السهليين إلى منطقتهم ولكنها في

الحقيقة لرجال من الجبليين. وصحيح أنه قد استفاد الطرفان، وكانت الفائدة الحقيقية والكبرى كانت من نصيب الجبليين إضافةً أنَّ السهليين كانوا تابعين للجبليين بالمال، والتصرّف، واللغة، بل كأن المنطقة السهلية تتبع المنطقة الجبلية إدارياً ومالياً.

إذ السيادة للمنطقة الجبلية إذ لكبارها التوجيه، إذ همُ الذين رفعوا أعوانهم السهليين إلى الصدارة، وسلّموهم السيادة فينقلون إليهم الأخبار، والأسرار، ومراكز القوة، وأخلص الأعوان بالتبعية. وتعيش المنطقة السهلية على أموال الجبليين التي جُعلت للزراعة والتجارة في المنطقة السهلية، وإن كانت تحمل ادّعاءً وصورةً اسم بعض رجال السادة السهليين.

كما يجب ألاّ ننسى دور نساء الجبليين اللاتي يعشن في منازل السهليين، ويلعبن دورهنّ في نقل الأخبار إلى أهلنّ، ويقمن بالدعاية لهم، ويعملن على نشر لغتهم.

وبينما كانت كلمة الجبليين واحدة، وهدفهم الذي يسعون له واحداً كان السهليون متفرقين إلى عدة فرقٍ، وكل فرقةٍ ذات هدفٍ، وكل فردٍ يسعى وراء هدفه منفرداً ويريد الوصول إليه مهما كان من نتائج ودون النظر إلى شعبه الذي يعيش بين أفراده فهذا يسعى لجمع

المال، وذاك يعمل للمنصب بجهده كله، وماله جميعه بل ولا يبالي بأهله، وثالث يسرع وراء الشهوة التي تأخذ همّه وتفكيره. وفي الوقت نفسه يرتبط بعض أفرادهم من سادةٍ وعامةٍ بالجبليين فهم أعوان لهم سعياً وراء مصالحهم وتبعاً لأهوائهم فأيديهم تتحرّك في المنطقة السهلية حسب التوجيهات التي تتلقّاها وتبعاً للمصالح الشخصية.

**رابعاً**: بقي فريق من الركب الأول سائراً باتجاه الهدف الذي انطلقوا نحوه من البداية، وأفراد هذا الفريق غالباً من الذين لا تُغريهم الشهوات، ولا يُفكّرون في إرواء الغرائز، ولا من الذين همّهم المنصب يسعون جاهدين إليه، ماثلاً أمام أعينهم وملء أسماعهم، يُضحّون بكل شيءٍ في سبيله، ولا يُبالون ما يُنفقون ولا بما يُضيعون، كما أنهم ليسوا من الذين همّهم جمع المال ليرتفعوا به نحو القمة، ويسموا به إلى العلياء.

عُرف هذا الفريق الذي بقي وحيداً من ركبه سائراً نحو هدفه بـ«الملتزمون» لأنهم مُحافظين على ما ورثوا من قيم، مُلتزمين على ما اعتادوا عليه من تعاليم ومنهجٍ، مُتمسّكين بما عرفوا من أخلاق وعادات الأجداد القدماء، كما أنَّ هذا الاسم قد أطلقه عليهم أفراد شعبهم الذي يُخالفونهم في السلوك والأهداف، وهم

الذين سبق ذكرهم، وافترقوا عن الركب سعياً وراء أهدافهم وآمالهم.

كان أفراد هذا الفريق ينتقدون زملاءهم الآخرين على ترك ما يجب المحافظة عليه من منهج وسلوك، واتّباع الدنيا وزينتها، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾(1).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾(2).

وقال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾(3).

وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ

---

(1) آل عمران: ١٤.

(2) الكهف: ٧.

(3) الكهف: ٤٦.

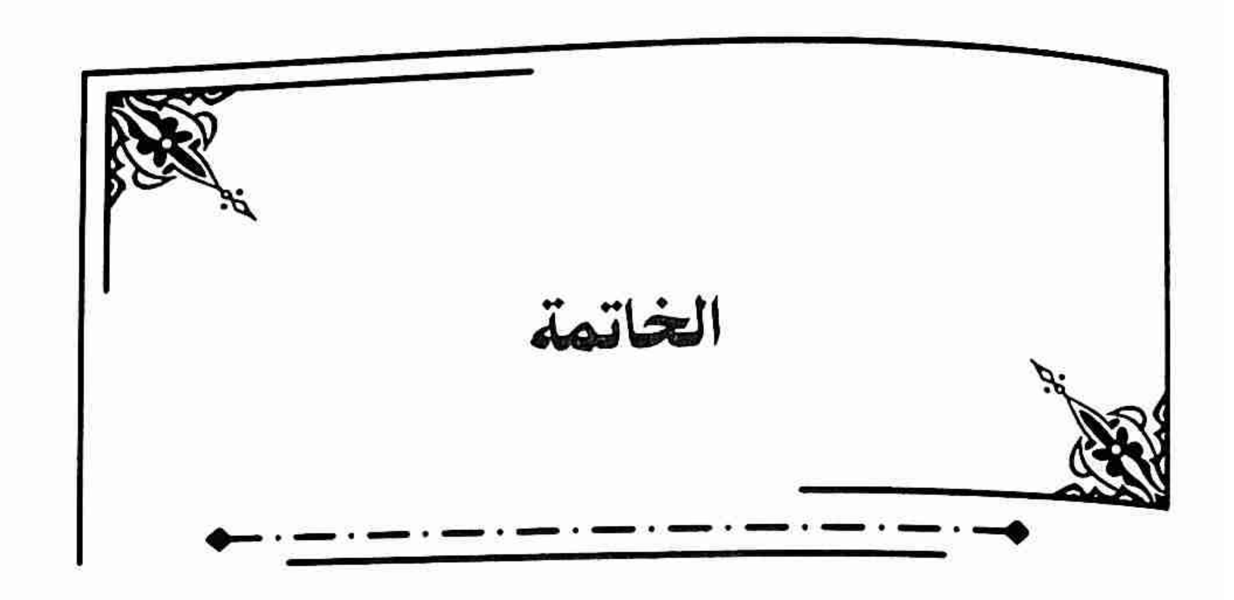
ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾[1].

وكان أفراد الفريق الآخرين ممن عُرفوا بالسعي وراء المنصب والمال والشهوات ينتقدون أفراد الالتزام، ويتكلّمون عنهم السوء، ويبثّون الشائعات الباطلة عنهم، ويحاربونهم لموقفهم ضدّ أهوائهم وشهواتهم التي يُحاولون العمل لها والسعي وراءها، ويُمارسونها إذ تُؤدّي ممارستها والعمل لها إلى نشر الفساد، وتفرقة الأمة إضافةً إلى ما في بعضها من منكراتٍ.

وكذلك فإن أعداء هذا الشعب يكرهون هذا الفريق لأن دعوته تجمع أبناء الأمة كتلةً واحدة، وتُوحّد صفوفهم، وتجعل منهم قوةً يُمكنها الوقوف في وجه الخصوم بل والانتصار عليهم، لذا فالأعداء يُحاربونهم بل يُوجّهون جهدهم، ويعملون دأبهم لمحاربتهم، ويطلبون من أعوانهم الضغط على أفراد هذا الفريق بكل ما استطاعوا من قوةٍ، ومن أساليب، ومن افتراءاتٍ.

---

(1) الحديد: ٢٠.



# الخاتمة

يتبيّن مما ذُكر أنَّ الأمة يجب أن تكون موحّدةً يُدير شؤونها ولي أمرٍ واحدٍ وذلك حتى تستطيع أن تُؤدّي مُهمّتها في الحياة. ولا يمكن أن تكون الأمة واحدةً حتى تتبع منهج عقيدةٍ واحدةٍ فلو وُجد أكثر من عقيدةٍ وقع الخلاف وحدث التباين، أما وجود أهل الذِّمَّة فلا يُهمّ حيث يعيشون خاضعين لولي الأمر يتبعون حكم منهج العقيدة.

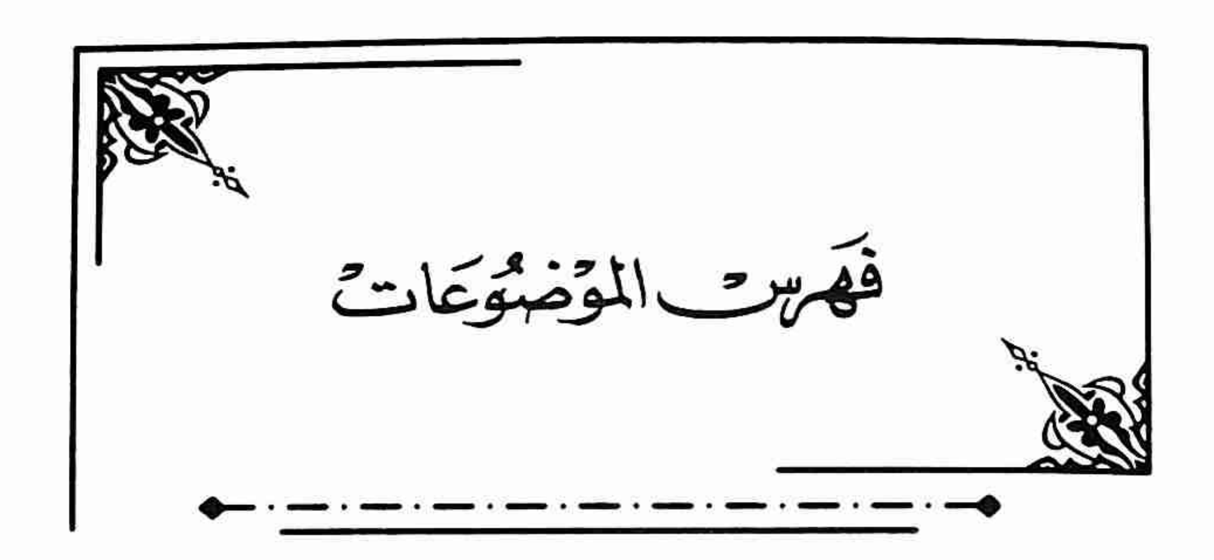
كما يتبيّن أنه إذا أُهمل تطبيق منهج العقيدة تفرّقت الأمة، وفقدت وحدتها إذ فريق يفسد في البلد ليُحقّق شهوته، وفريق ينشر الرعب ليصل إلى منصبٍ ويتولّى السيادة، وفريق يُسيء إلى أبناء الأمة كي يجمع المال، وإذا لم يستطع هذا أو ذاك الوصول إلى ما تشتهي نفسه لا يجد مانعاً بمراسلة الأعداء والاتصال بهم لتحقيق ما يصبو إليه، ويسعى وراءه.

وإنَّ أصحاب الأهواء والشهوات يسقطون في دنياهم بما يقدمون به وسيهوون إلى القعر في أُخراهم. على حين ينجو الأبرار في دنياهم ويكونون موضع تقديرٍ واحترامٍ، ويفوزون في الآخرة - بإذن الله -.

ويظهر كذلك أنه عند الإغفال عن تطبيق منهج العقيدة يصبح أصحاب المصالح والشهوات يُهاجمون، ويتكلّمون عن كل ما يُوجّه إليهم النصح، بل ويبثّون الشائعات عنه، ويُوجّهون إليه التهم والافتراءات والأكاذيب، وتفترق بذلك الأمة أيضاً.

لذا يجب على أبناء الأمة أن ينتبهوا إلى ذلك ويعملوا على رفض الاتهامات والافتراءات ونصح أصحابها، والدعوة إلى وحدة الأمة والعمل الجاد بمنهج العقيدة لتكون وحدة صادقة للأمة، والله ولي الأمر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.




| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| **مقدمة** | ٥ |
| المنصب | ٩ |
| النساء | ١٣ |
| المال | ١٩ |
| الالتزام | ٣٣ |
| ركب ثانٍ | ٣٧ |
| اللعب السياسي | ٤١ |
| **الخاتمة** | ٥١ |